الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علما .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له في كتابه «أصول الإيمان» :

باب الوصية بكتاب الله عز وجل

وقول الله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣] .

****

قال رحمه الله ((**بابٌ الوصية بكتاب الله عز وجل**)) ؛ هذه الترجمة أوردها رحمه الله تعالى في كتابه أصول الإيمان لأن من أصول الإيمان العظيمة الإيمان بكتب الله عز وجل المنزلة ، كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧] ، وقال جل وعلا ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، فالإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان ، وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦] ، وقال جل وعلا: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى:١٥] أي آمنت بكل كتاب أنزله الله على أي رسول .

فالإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان ، ومن الإيمان بالكتب الإيمان بخاتم الكتب المنزلة ألا وهو القرآن الكريم الناسخ لجميع الكتب التي قبله والمهيمن عليها والمصدق لما بين يديه ؛ وهو الكتاب الذي أنزله الله تبارك تعالى على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠] فهو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين وكتابه خاتم الكتب، فلا يُبعث بعده عليه الصلاة والسلام رسول ولا يُنزل بعد كتابه عليه الصلاة والسلام كتاب .

والإيمان بالقرآن الذي هو كلام الله عز وجل هو إيمانٌ بهذا الكتاب العظيم وأنه وحي من الله تبارك وتعالى أنزله على رسوله صلى الله عيه وسلم ،كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥] ، وأن نؤمن أنه كلام الله تبارك وتعالى وأنه سبحانه وتعالى هو الذي تكلم به، قال عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦] أي يسمع القرآن الذي هو كلام الله تبارك وتعالى ، وأن نؤمن بأن هذا الكتاب فيه الهداية والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة ، وأن من آمن بهذا القرآن وعمل به هُدي إلى صراط مستقيم ، ومن تنكَّب عنه وحاد عنه باء بالخسران في الدنيا والآخرة .

والمؤلف رحمه الله تعالى عقد هذه الترجمة للوصية بكتاب الله عز وجل حتى يقبِل المسلمون على كتاب الله على القرآن الذي فيه عزهم وفلاحهم ورفعتهم في الدنيا والآخرة ، لأن أمة الإسلام كلما ارتبطت بالقرآن الكريم كان ذلك عزًا لها وفلاحًا ورفعة في الدنيا والآخرة ، وكلما أعرضت عن القرآن وعن العناية به قراءةً وتدبرًا وعملًا وتطبيقًا باءت بالخسران في الدنيا والآخرة .

قال رحمه الله تعالى: ((**باب الوصية بكتاب الله عز وجل**)) ؛ والوصية بكتاب الله تتناول أمورًا عديدة سنقف عليها من خلال النصوص التي ساقها رحمه الله تعالى ، وقد بدأ رحمه الله بقول الله عز وجل : ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:٣] .

﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ أي اتبعوا وحي الله جل وعلا الذي أنزله إليكم هدايةً لكم وصلاحًا وفلاحًا ورفعةً، ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي حكِّموا كلام الله عز وجل بينكم واعملوا بكلامه عز وجل وطبِّقوا أحكامه سبحانه وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ،كونوا متبعين لكلام الله عز وجل ممتثلين له متمسكين به.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ؛ وهذا فيه أن الوحي منزَّل من الله تبارك وتعالى وأنه كلام الله عز وجل ، قال ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ و«من» هنا تفيد الابتداء وأن الكلام بدأ من الله عز وجل وهو منزل منه ، كما قال السلف رحمهم الله عن كلام الله : «من الله بدأ وإليه يعود» ، فيدل على أنه من الله بدأ قوله ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة:٢] ، فهو من الله عز وجل تكلم به ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلَّغه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام للأمة على التمام والكمال .

قال: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ ؛ وقوله ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فيه تنبيهٌ إلى ربوبية الله تبارك وتعالى الخاصة التي تدل على التربية على الإيمان والفضيلة والخير والإيمان الصحيح والعبادة القويمة وحُسن الإقبال على الله تبارك وتعالى؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: كان أكثر دعاء الأنبياء بهذا الاسم «ربنا» مستحضرين منة الله عز وجل عليهم بتربيته الخاصة لهم على الإيمان والكمال .

﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ ؛ لا تتبعوا: أي لا تقتفوا من دونه أي دون الكتاب الذي أُنزل إليكم من ربكم أولياء، أي أشخاصًا أو أناسا تتولونهم وتتبعونهم وتأخذون عنهم وتتلقون منهم معرضين عن كتاب ربكم ؛ وهذا فيه تحذير للناس من أئمة الضلال ودعاة الباطل الذين يصدون الناس عن كلام الله عز وجل وعن وحيه سبحانه وتعالى ويوقعونهم في البدع والضلالات والمنكرات والأباطيل ، وقد خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من هؤلاء قال : ((إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)) ، فكان يخاف على أمته عليه الصلاة والسلام منهم ، والله جل وعلا يحذر هنا من ذلك قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي من دون كتاب الله تبارك وتعالى أولياء: أي تتولونهم وتأخذون عنهم وتقتفون آثارهم وتمتثلون أوامرهم معرضين عن كلام الله عز وجل . ولقد وُجد من أئمة الباطل ودعاة الضلال من يصرف الناس عن القرآن ويصرفهم عن وحي الله تبارك وتعالى ويدعوهم إلى

الإيمان بعقلياته السقيمة وأفكاره الوضيعة وآرائه البالية ، يدعوهم إلى ذلك ويصدهم عن كلام الله تبارك وتعالى؛ فوجب على كل مسلم أن يحذر من أولياء الشيطان ومن دعاة الباطل وأن يُقبل على كلام الله تبارك وتعالى .

وقول الله عز وجل في تمام هذه الآية ﴿ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تنبيهٌ إلى أن من أعمل تذكره وتبصَّر في الأمور وتدبر علِم أن الهداية والفلاح والسعادة في اتباع كتاب الله لا في اتباع أولياء الباطل وأئمة الضلال ، ولهذا قال: ﴿ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي لو أن تذكركم كان كثيرًا تتبصرون في الأمور وتتدبرون في حقائقها لأدركتم أن العز وفلاح في كتاب الله تبارك وتعالى ، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] ، فالهداية للتي هي أقوم والرشاد والفلاح إنما هو في كتاب الله عز وجل .

قال رحمه الله تعالى :

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : ((أما بعد ألا أيها الناس: فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ؛ فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به)) ، فحثَّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال : ((وأهل بيتي)) وفي لفظ : ((كتاب الله هو حبل الله المتين ؛ من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة)) رواه مسلم .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث العظيم حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه في ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطبها قرب غدير يقال له «خُم» بين المدينة ومكة ، وهي خطبة فيها وصية عظيمة من الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته ، وبدأ عليه الصلاة والسلام خطبته بالثناء على الله تبارك وتعالى بما هو أهله جل وعلا. قال: ((**وأثنى عليه**)) .

ثم قال : ((**أما بعد**)) وهذه يأتي بها صلوات الله وسلامه عليه في خطبه بعد حمده لله وثنائه عليه يقول «أما بعد» ثم يشرع في المقصود ، والمراد بهذه الكلمة أي مهما يكن من شيء بعد فالأمر كذا وكذا يبين المقصود بعدها ، ولا يُبدأ ببيان المقصود إلا بعد الثناء على الله تبارك وتعالى ، يثنى على الله أولا بما هو أهله حمدًا وثناءً وتعظيما لله تبارك وتعالى ثم يشرع في المقصود ، وبين يدي الشروع في المقصود يؤتى بهذه الكلمة «أما بعد» تنبيهًا للسامع إلى أن المتكلم شرع في المقصود من الخطاب والمقصود من الكلام .

قال : ((**أما بعد ألا أيها الناس**))؛ و«ألا» أداة استفتاح يُبدئ بها وكثيرًا ما تأتي في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام للتنبيه وشد الأذهان .

((**ألا أيها الناس فإنما أنا بشر**)) وهذا من الامتثال لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠] وها هو عليه الصلاة والسلام يخبر ويفصِح عن ذلك ((أيها الناس فإنما أنا بشر)) أي يعتريني ما يعتري البشر ويصيبني ما يصيب البشر ، ومن ذلكم الموت الذي كتبه الله سبحانه وتعالى على الناس ، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] ، وقال تعالى: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] ، فالموت كتبه الله سبحانه وتعالى على البشر ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] ؛ فهو يخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك قال ((**إنما أنا بشر**)) .

وهذا يستفاد منه فائدة عظيمة تتعلق بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام ألا وهي: البعد عن الغلو فيه الذي يقع فيه كثير من الناس من باب إظهار المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وإظهار التعظيم له ؛ فيغلو بعضهم في النبي صلى الله عليه وسلم فيعطيه من الخصائص والصفات ما لا يليق إلا بالله عز وجل ، فإذا تأمل المسلم في قوله عليه الصلاة والسلام ((إنما أنا بشر)) فالبشر لا يعطى من خصائص رب البشر وخالق الخلق سبحانه وتعالى ، فصفات الله لله جل وعلا ، لا يعطى أي أحد من البشر شيء من خصائص الله وصفاته سبحانه وتعالى ، وإذا أعطي أحد من البشر شيء من ذلك فهذا غلو باطل مهلكٌ لصاحبه كما قال عليه الصلاة والسلام ((إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) ، وقال عليه الصلاة والسلام: ((ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها)) ، قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)) ، وسمع رجلا يقول ما شاء الله وشئت فغضب عليه الصلاة والسلام وقال: ((أجعلتني لله ندا، قل ما شاء الله وحده)) . والأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه في هذا المعنى كثيرة؛ فهو بشر وهو عليه الصلاة والسلام عبدٌ لله والعبد لا يُعبد ولا يعطى شيئا من خصائص الرب تبارك وتعالى .

فإذًا قوله عليه الصلاة والسلام ((**أيها الناس إنما أنا بشر**)) هذا فيه طرد للغلو وإبعادٌ عنه وتحذيرٌ منه ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يغلو أحد فيه ، ورب العالمين لا يرضى ذلك سبحانه وتعالى ، ولا يشفع للإنسان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم أن يغلو فيه وأن يعطيه من الخصائص ما لا يليق إلا بالله ، وإن ظن أنه يؤجر على ذلك فليعلم أنه يؤزر ولا يؤجر ، لأن الأجر والثواب إنما يكون على الطاعات لا على الغلو في دين الله تبارك وتعالى ، الغلو لا يؤجر عليه الإنسان وإنما يأثم بغلوه وتجاوزه لحد الشريعة ، والمحبة وحدها بدون ضبطها بضوابط الشريعة وقيود الكتاب والسنة لا تكفي ، لابد من أن تكون هذه المحبة منضبطة بضوابط كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

قال: ((**يوشك أن يأتيني رسول ربي**)) والمراد بالرسول هنا ملك الموت ، لأن ملك الموت رسول ، والملائكة عموما رسل ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١] ، وكلٌ منهم مرسل بمهمة ووظيفة وعمل ، وملك الموت أيضا رسول لله تبارك

وتعالى لقبض من أذِن الله سبحانه وتعالى له بقبض روحه ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١] فهو وكِّل بهذه الوظيفة وبهذا العمل قبض الأرواح ،كل من دنت منيته وجاء أجله جاء إليه هذا الرسول الذي هو ملك الموت لقبض روحه ، قال ((يوشك)) ومعنى يوشك : أي يقترب قارب أن يأتيني ملك الموت ((يوشك أن يأتيني ملك ربي فأجيب)) .

قال: ((**وأنا تارك فيكم ثقلين**)) إذا مت وجاءني رسول ربي فأنا تارك فيكم ثقلين ؛ وهذه وصية النبي عليه الصلاة والسلام لأمته ، وقوله عليه الصلاة والسلام «ثقلين» تنبيهٌ على عظم ما أوصى به صلوات الله وسلامه عليه .

قال ((إني تارك فيكم ثقلين)) وهذا يذكرنا بالكلمة التي قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، خطب خطبة أو بيَّن بيانا للناس قال فيه : «من كان يعبد محمدًا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ، فالنبي عليه الصلاة والسلام بشر ويعتريه ما يعتري البشر ويصيبه ما يصيب البشر ، وقد بلَّغ رسالة الله تبارك وتعالى وافيةً كاملة ، وترك فينا كتاب الله عز وجل قال ((إني تارك فيكم ثقلين ؛ أولهما كتاب الله))

قال: ((**فيه الهدى والنور**)) وهذا هو الشاهد من سياق هذا الحديث للترجمة . قال ((فيه الهدى)) كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] ((وفيه النور)) كما قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] .

قال: ((**فيه الهدى والنور**)) ؛ الهدى: أي إلى الصراط المستقيم وإلى جنات النعيم ، وإلى رضا الرب الكريم ، وإلى الفوز بالدرجات العلا ، وإلى القيام بالعبادة والطاعة لله عز وجل على الوجه الذي يرضيه ، وإلى أسباب الثبات على الحق والهدى . والنور: أي الذي يضيء لكم الطريق وتبصرون به الجادة ، وتذهب عنكم ظلمات الجهل وظلمات الباطل وظلمات الغي وظلمات الضلال ،كلها تتبدد وتذهب عنكم بنور القرآن الكريم .

قال: ((**فخذوا بكتاب الله**)) يوصي عليه الصلاة والسلام بعد أن بيَّن مكانة القرآن العلية ومنزلته العظيمة أمر بالأخذ به ((**فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به**)) خذوا بكتاب الله : أي عوِّلوا عليه اعتمدوا عليه وارجعوا إليه وكونوا متمسكين به ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [الأعراف:١٧٠] أي يتمسكون به ، فكونوا متمسكين بكتاب الله عز وجل معتصمين به ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] .

قال: ((**فحثَّ على كتاب الله ورغّب فيه**)) أي في وصيته تلك حث عليه الصلاة والسلام على كتاب الله ورغب فيه . والحث على كتاب الله عز وجل والترغيب فيه يشمل الحث على سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ،

فمن الوصية بالكتاب الوصية بالسنة ، ومن لا يتمسك بسنة النبي عليه الصلاة والسلام ليس متمسكًا بالكتاب لأن من تمسك بالكتاب حق التمسك ، ففي الكتاب يقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] ، وفي الكتاب يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] الرد إلى الله: الرد إلى الكتاب ، والرد إلى الرسول عليه الصلاة والسلام: الرد إلى سنته، وفي الكتاب يقول: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤] السنة ؛ فلا يكون مستمسكًا بالكتاب من لا يتمسك بسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

إذًا قوله عليه الصلاة والسلام هنا ((**خذوا بكتاب الله وتمسكوا به**)) وترغيبه في الكتاب وحثه عليه ؛ هذا يشمل التمسك بالسنة ، لأن في كتاب الله تبارك وتعالى الوصية بسنة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا يأتي في بعض الأحاديث الجمع منه صلى الله عليه وسلم في الوصية بين الكتاب والسنة ،كقوله عليه الصلاة والسلام ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وسنتي)) ، وقوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث جابر إذا خطب الناس يوم الجمعة: ((أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ،وكل بدعة ضلالة)) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة)) .

فإذًا قول الرسول صلى الله عليه وسلم هنا في هذا الحديث ((**وخذوا بكتاب الله وتمسكوا به**)) هذا يشمل السنة ولابد ، لأن في القرآن آيات كثيرة جدا فيها الوصية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع هديه والأخذ عنه والتعويل على ما جاء به صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : ((**وأهل بيتي**)) أي أوصيكم بأهل بيتي ، وهذه وصية من النبي عليه الصلاة والسلام بأهل بيته ، وهذا يتناول فيما يتعلق بأهل البيت أن يُعرف قدرهم وتُعرف مكانتهم ومنزلتهم ، ويُعرف أيضا ما أكرمهم الله سبحانه وتعالى به من الشرف والنسب الرفيع والقرابة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ومحبتهم وتوليهم والترضي عنهم والدعاء لهم ، إلى غير ذلك من الحقوق العظيمة التي تُحفظ لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

وهنا ينبغي على كل مسلم أن يكون في هذا الباب وفي كل باب من أبواب الدين بعيدًا عن مسلكين: مسلك الغلو ومسلك الجفاء ، وخير الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها ، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] ، فآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام يُعرف لهم قدرهم ، تُعرف لهم مكانتهم ، يتولون ويحبُّون ، ولا يعادون ويبغضون ، ويترضى عنهم ويترحم عليهم إلى غير ذلك من المعاني الصحيحة المطلوبة من المسلم لكن لا يغلى فيهم . ليس من حفظ وصية النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت أن نغلو في أهل البيت أو أن نرفع درجتهم أو أن نعطيهم

من الخصائص ما ليس إلا لله تبارك وتعالى ؛ كأن يدَّعى فيهم أنهم يعلمون الغيب ، أو أنهم يعلمون ما كان وما يكون، وأنهم يعلمون الآجال والأرزاق ، وغير ذلك مما هو من خصائص الرب سبحانه وتعالى ، أو أن يتوجَّه لهم والعياذ بالله بالدعاء والعبادة والالتجاء والخضوع والذل هذه كلها لله تبارك وتعالى، ولهذا جاء عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله ورضي الله عن الصحابة أجمعين جاء عنه أنه قال : «أحبونا حب الإسلام» ، انتبهوا إلى جمال الكلام قال : «أحبونا حب الإسلام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما أحب أن تنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها» ، ففي قوله «أحبونا حب الإسلام» تنبيه إلى أن الحب الذي ينبغي أن يكون لآل البيت مضبوطا بحب الإسلام ، أما الغلو وإعطاءهم من الخصائص ما لا يليق إلا بالله تبارك وتعالى ليس هذا حب الإسلام ، بل هذا حبٌ أنكره النبي عليه الصلاة والسلام وحذر منه ونهى عنه .

إذًا قوله ((**أوصيكم بأهل بيتي**)) هذا فيه دعوة إلى الوسطية والاعتدال ، من غلا في أهل البيت هل حفظ فيهم وصية النبي عليه الصلاة والسلام؟ لا والله ، ومن جفا في آل البيت هل حفظ فيهم وصية النبي عليه الصلاة والسلام؟ حاشا وكلا ، لا يحفظ وصية النبي عليه الصلاة والسلام في آل بيته إلا من يكون فيهم متوسطا ، لا غاليا ولا جافيا ، لا مفْرطا ولا مفرِّطا بل يكون معتدلا ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ، ليس من حفظ وصية النبي صلى الله عليه وسلم في آل بيته أن يغلى فيهم ، ولا أيضا من حفظ وصية النبي عليه الصلاة والسلام في آل بيته أن يعاملوا بالجفاء ، فحفظ وصيته عليه الصلاة والسلام فيهم بالوسطية والاعتدال في هذا الباب بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط .

((**ثم قال أهل بيتي**)) أي وأوصيكم بأهل بيتي ، ولهذا جرت طريقة أهل السنة والجماعة في كتبهم ومؤلفاتهم ولاسيما كتب العقائد التنبيه على هذا الأمر وعلى وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل بيته ، وأن الواجب على المسلم أن يحبهم وأن يتولاهم ، وأن لا يذكرهم إلا بالجميل والثناء الطيب ، وأن لا يقع في أحد منهم وأن لا ينتقص أحدا ، وأيضا ألا يغلو فيهم ، فكتب أهل السنة عامرة بذلك ومليئة بذلك بالثناء على أهل البيت ، وأيضا في كتب أهل السنة التحذير من الغلو في أهل البيت والتحذير من أن يعطوا من الخصائص ما لا يليق إلا بالله، هذا يأتي كثير في كتب أهل السنة ؛ يحذرون من الغلو في أهل البيت من الغلو في النبي عليه الصلاة والسلام ، لأن الغلو نهى الله عنه في كتابه ونهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام في سنته ، فتبعا للكتاب وتبعا للسنة يحذر أهل السنة من الغلو في آل البيت ومن الغلو في النبي عليه الصلاة والسلام لأن الغلو ليس من دين الله تبارك وتعالى ولبيس من شرعه جل وعلا .

ومن كان واقعا في الغلو متلطخًا به يسمي تحذير أهل السنة من الغلو في آل البيت يسميه انتقاصا لآل البيت ، ويسميه طعنا في آل البيت ، إلى غير ذلك من الأسماء التي تطلق هنا وهناك وكلها لا قيمة لها ، والمسلم الواجب عليه أن يحفظ وصية النبي عليه الصلاة والسلام في أهل بيته بالمحبة لهم والمودة والثناء عدم الانتقاص أو الاحتقار

أو الازدراء او غير ذلك من المعاني ، وأن يتولاهم وأن يثني عليهم وأن يدعو لهم إلى غير ذلك من المعاني الصحيحة التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

ونحن ولله الحمد تعلمنا كتب هذا المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وكتب غيره من أهل العلم معرفة حق آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، بل إننا وجدنا في سيرة هذا المؤلف رحمه الله وفي كتاباته الشيء العظيم في بيان حق آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، بل إن هذا الرجل –أعني شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى– من شدة حبه لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام سمى أولاده كلهم بأسماء آل البيت إلا واحدا منهم فقط عبد العزيز ، وإلا أولاده كلهم سماهم بأسماء آل البيت ؛ سمى الحسن ، والحسين ، وعلي، وفاطمة ، وإبراهيم هؤلاء كلهم من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، وسماهم بذلك لشدة محبته لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثيرا ما يأتي في كتبه الثناء عليهم والوصية بهم ، ومع ذلك أعداؤه وأعداء السنة في كل وقت وحين يقولون لا يحبون آل البيت ، ما هو حب آل البيت؟ هل حب آل البيت الغلو فيهم؟ هل حب آل البيت أن يعبدوا مع الله؟ هل حب آل البيت أن يغلى فيهم ؟ هل حب آل البيت أن يعطوا من خصائص الله تبارك وتعالى؟ لا والله ليس هذا هو الحب ، الحب معروف الذي قال عنه علي بن الحسين قال «أحبونا حب الإسلام» لا تحبونا حب الغلو وحب تجاوز حد الشريعة ، النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد؛ فقولوا عبد الله ورسوله)) . ولهذا نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه أن هدانا لمحبة آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن عافانا سبحانه وتعالى وهو المعافي وحده أن عافانا من الغلو ونجانا منه ، ونسأله تبارك وتعالى أن يمن علينا يوم القيامة بأن يجمعنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وآل بيته في جنات النعيم إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال رحمه الله تعالى : ((**وفي لفظ : كتاب الله هو حبل الله المتين**)) ؛كتاب الله: أي القرآن ، هو حبل الله: أي الذي من تمسك به فقد هُدي إلى صراط مستقيم قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:١٠٣] والحبل هو ما يتمسك به ويتعلق به ويتجوَّد به الإنسان ، وإذا كان متينا فهذا أبلغ ولهذا قال: ((كتاب الله هو حبل الله المتين)) أي الذي يوصل من تمسك به إلى سعادة الدنيا والآخرة .

قال: ((**كتاب الله هو حبل الله المتين من اتبعه كان على الهدى ،ومن تركه كان على الضلالة**)) ؛ من اتبعه أي اتبع القرآن كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة ، وهنا أيضا فيه تنبيه يتعلق بالوصية بكتاب الله؛ أن تشمل عناية المسلم بكتاب الله عز وجل تشمل القراءة والحفظ ، والفهم والتدبر ، والعمل والاتباع ، لا أن ينشغل فقط بحروف القرآن وإقامتها عن فهم القرآن وتدبره وعن العمل به والقيام به ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام هنا ((من اتبعه)) ، واتباع القرآن لا يكون إلا بعد القراءة للقرآن والفهم للقرآن ، يقرأ القرآن ويفهم القرآن ثم يتَّبع القرآن ، فالقراءة وحدها لا تكفي ، والتدبر وحده لا يكفي ، بل لا بد من الاتباع ولهذا نص عليه صلوات الله

وسلامه عليه هنا ، والله جل وعلا يقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة:١٢١] ، قال أهل العلم: تلاوة القرآن حق تلاوته تكون: بالقراءة والحفظ، والفهم والتدبر، والعمل . والاتباع نفسه تلاوة للقرآن ، لأن من تلاوة القرآن أن تتبع القرآن ، ومن معنى التلاوة في اللغة: الاتباع كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس:٢] أي تبِعها ، فمن تلاوة القرآن اتباع القرآن ، ليست تلاوة القرآن بإقامة حروفه وتجويد مخارجه فقط ،بل بذلك وبالتدبر لكلام الله عز وجل وفهمه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد:٢٤] ، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨] ، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص:٢٩] وبالعمل أيضا بالقرآن واتباع القرآن وأن يكون القرآن إماما للإنسان وقائدا .

قال رحمه الله تعالى :

وله في حديث جابر الطويل : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة عرفة : ((وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ؛ كتاب الله . وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟)) قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأديت ونصحت، قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : ((اللهم اشهد)) ثلاث مرات.

****

ثم أورد رحمه الله حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي خطبها يوم عرفة الذي هو أعظم الأيام وسيد الأيام وأفضل الأيام كما يقول عليه الصلاة والسلام ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة)) ، فيوم عرفة خير الأيام ، في ذلك اليوم العظيم يوم عرفة خطب النبي عليه الصلاة والسلام الناس على صعيد عرفة خطبة عظيمة بليغة كان منها قوله عليه الصلاة والسلام : ((**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ؛ كتاب الله**)) ؛ هذا فيه الوصية بالاعتصام بكتاب ال، له مثل قول الله في القرآن ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] ، والاعتصام بالقرآن: هو التمسك به ، التمسك بكتاب الله عز وجل كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [الأعراف:١٧٠] أي يتمسكون به ويعتصمون به ويعولون عليه ويجعلونه حاكمًا وإماما .

قال: ((**تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به**)) وهذا فيه أن من يتمسك بالقرآن لن يضل ، قال تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه:١٢٣] فالذي يتبع القرآن نفى الله عز وجل عنه الضلال ونفى عنه الشقاء ، ونفي الضلال يقتضي ثبوت الهداية ، ونفي

الشقاء يقتضي ثبوت السعادة ، فالذي يتمسك بالقرآن يهتدي ويسعد في الدنيا والآخرة ، والذي يترك القرآن فإنه يقع في الضلالة ويبوء بالخسران في الدنيا والآخرة .

قال: ((**وأنتم تسألون عني**)) أي يسألكم الله ، والسؤال ذكره الله في القرآن ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥] ((**تسألون عني فما أنتم قائلون؟**)) وهذا فيه التنبيه على الجانب الآخر وهو جانب السنة وبلاغ النبي عليه الصلاة والسلام لدين الله عز وجل .

((**قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأديت ونصحت**)) ولاحظوا هذه الكلمات الثلاث؛ قال أنتم تسألون عني أي يسالكم الله عز وجل وهو أعلم بكم وبي وبالخلق أجمعين ، تُسألون عني فما أنتم قائلون أي إذا سئلتم ؟

((**قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت**)) ؛بلغت أي الرسالة ، وأديت أي الأمانة ، ونصحت أي الأمة؛ فهو عليه الصلاة والسلام بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، وما ترك خيرا إلا دل أمته عليه ولا شرا إلا حذرها منه ، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك .

((**قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد، ثلاث مرات**)) قال باصبعه السبابة أشار بالسبابة يرفعها إلى السماء عندما يقول ((اللهم)) يرفع اصبعه اللهم فاشهد وينكتها إليهم ؛ أي يخفض اصبعه ويشير بها إليهم ، لما قالوا بلغت وأديت ونصحت قال ((اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد، اللهم فاشهد)) فعل ذلك صلوات الله وسلامه عليه ثلاث مرات . وكان عليه الصلاة والسلام يشير باصبعه إلى العلو عندما قال ((اللهم فاشهد)) وهذا من الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى ، وهذه الإشارة إلى العلو اللهم فاشهد أشار بها إلى العلو وأمامه ألوف الناس على صعيد عرفة يرونه عليه الصلاة والسلام وهو يشير هذه الإشارة ثم ينكتها إليهم ، لماذا يشير هكذا ((اللهم فاشهد)) ؟ هذا من الإيمان بعلو الله تبارك وتعالى على خلقه قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩] ، قال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] ، قال ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة:٢] النزول من أعلى ، قال ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] ، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦] إلى غير ذلك من الآيات والدلائل الكثيرة على علوه تبارك وتعالى على خلقه علوا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى ، فكان يشير بإصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول عليه الصلاة والسلام ((اللهم فاشهد اللهم فاشهد)) أي اشهد على كلامهم وأنني بلغت وأديت ونصحت .

قال رحمه الله تعالى :

وعن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((ألا إنها ستكون فتنة)) قلت : ما المخرج يا رسول الله ؟ قال : ((كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبَّار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضلَّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلَق عن كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنتهِ الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ [الجن:١-٢] ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)) رواه الترمذي وقال : غريب .

****

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث في الوصية بكتاب الله عز وجل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ((**سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنها ستكون فتنة قلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله**)) إلى آخر الحديث ، وهذا الحديث لم يثبت مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويروى أيضا موقوفا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو من حيث المعاني والألفاظ التي اشتمل عليها معانٍ عظيمة وكلمات قوية في تعظيم كتاب الله وبيان قدر القرآن ومكانة القرآن وذكر أمور عظيمة تتعلق بالقرآن ، لكنه لم يصح حديثا مرفوعا إلى نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام .

قوله ((**ألا إنها ستكون فتنة**)) يُغني عن هذا ما جاء في الحديث الذي أشرت إليه حديث العرباض قال : ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) ، وقال في الحديث الآخر ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)) فأشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى وجود الفتن وأنها ستقع الفتن ، جاء عنه هذا المعنى في أحاديث عديدة ، وأيضا جاء عنه عليه الصلاة والسلام في بيان المخرج عند وقوع الفتن في حديث العرباض قال : ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) فذكر المخرج دون أن يُسأل عنه ، دون أن يقال ما المخرج؟ وهذا من كمال نصحه عليه الصلاة والسلام ، قال ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي)) هذا هو المخرج ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)) ، وأيضا في الحديث الآخر قال ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هم؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) هذا هو المخرج ، المخرج أن يكون الإنسان على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام .

قال: ((**كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم**)) وهذه كلها موجودة في القرآن ، القرآن مشتمل على أخبار من سبق ، قص الله تبارك وتعالى فيه على نبيه أخبار الأمم السابقة وقصص الأولين وأخبار النبيين ، جاءت تفاصيل كثيرة من ذلك في كتاب الله عز وجل ، وأيضا ((فيه خبر ما بعدكم)) أيضا في القرآن الكريم إخبارات عن أمور آتية وتفاصيل قادمة كثيرة جدًا ومن ذلكم: الساعة وأشراطها وقيامها وأهوالها وغير ذلك ، فجاء فيه أخبار ، قال ((وحكم ما بينكم)) أيضا هذا موجود في القرآن حكم ما بين الناس ، وفيه الفصل في القضايا والأحكام .

قال : ((**هو الفصل ليس بالهزل**)) أي كلام عز وجل جدٌ لا هزل فيه .

((**من تركه من جبَّار قصمه الله**)) وهذا فيه خطورة ترك القرآن والإعراض عن القرآن ، وأن من أعرض عن القرآن قصمه الله تبارك وتعالى وإن كان جبارا من الجبابرة .

قال: ((**ومن ابتغى الهدى من غيره أضلَّه الله**)) ومن ابتغى الهدى أي طلب لنفسه الهداية من غير القرآن أضله الله تبارك وتعالى ، هذا نظير قوله في الحديث المتقدم ((هو حبل الله المتين من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة)) .

قال: ((**وهو حبل الله المتين**)) وهذا أيضا مر معنا في الحديث المتقدم .

((**وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء**)) وكل هذه أوصاف صحيحة لكلام الله تبارك وتعالى .

((**ولا يخلَق عن كثرة الردّ**)) أي عندما يكرر الإنسان القرآن يجد أنه في كل مرة يتذوق حلاوة القرآن ، لا يمل من القرآن بكثرة التلاوة ، ولا يخلَق القرآن لا يصبح القرآن عنده شيء قديم أو شيء خلِق بسبب التكرار وكثرة القراءة، بل في كل مرة يقرأ يقف على معاني وحِكم وأشياء من حلاوة القرآن ولذة القرآن، فهو لا يخلق بكثرة التكرار أو كثرة الرد.

((**ولا تنقضي عجائبه**)) في القرآن أمور وعجائب عظيمة تدل على عظمة المتكلم به سبحانه وتعالى .

((**هو الذي لم تنتهِ الجن إذ سمعته حتى قالوا** : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ [الجن:١-٢]))

قال الذي لم تنته الجن إذ سمعته: أي مجرد أن سمعت القرآن أدركا عظمة القرآن ومباشرةً أمنوا بالقرآن .

قال: ((**من قال به صدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**)) وهذا كله من التمسك بالقرآن ، حقيقة التمسك بالقرآن: أن يعمل به الإنسان ، وأن يجعله حاكما ، وأن يكون إليه داعيا ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم .

قال رحمه الله تعالى :

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً : ((ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرَّم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ؛ فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً)) ثم تلا : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤])) رواه البزَّار وابن أبي حاتم والطبراني .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث أبي الدرداء مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((**ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرَّم فهو حرام**)) لأن الحلال: ما أحله الله ، والحرام: ما حرمه الله ،كما جاء في حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن)) ، الحلال هو ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله تبارك وتعالى .

قال : ((**ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرَّم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية**)) أي ما سكت عنه تبارك وتعالى فلم يذكر فيه حلالا ولا حراما فهو عافية ، والأصل في الأشياء والمطاعم والملابس ونحوها الأصل فيها الإباحة والأصل فيها الحل ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة:٤] ، فما سكت عنه سبحانه وتعالى من الأمور التي يحتاج إليها الناس في طعامهم في شرابهم في غذائهم في لباسهم في مساكنهم إلى غير ذلك الأصل فيه الحل ، وهو عافية من الله تبارك وتعالى كما جاء في هذا الحديث ((**فاقبلوا من الله عافيته**)) .

قال: ((**فإن الله لم يكن لينسى شيئاً**)) يعني لم يترك بيانه نسيانًا ، وإنما ترك بيانه عافيةً كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام .

((**ثم تلا : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾** [مريم:٦٤])) ؛ قال عز وجل ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه:٥٢] فهو منزه تبارك وتعالى عن ذلك .

فهذا الحديث من جملة الأحاديث التي فيها الوصية بكتاب الله عز وجل أن نُحِلَّ حلاله وأن نحرم حرامه ، فمن الوصية بالقرآن أن نحل حلال القرآن وأن نحرِّم حرام القرآن وأن نكون متمسكين بالقرآن الكريم .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .